مجلة المرابط

العدد : ١٩٨ الموافق في محرم ١٤١٩ هجري ١٩٩٨/٥ ميلادي

عنوان المقال : سأل ؟ سائل	بقلم :أسرة التحرير

سأل سائل : هل صحيح أن من لا شيخ له فشيخه الشيطان ؟!

فكان الجواب : إن كنت تقصد بالشيخ « **المرجع العلمي** » فالكلام سليم ، لأن الذي لا يملك قدرة على معرفة الحق من الباطل ، والحلال من الحرام ، والصواب من الخطأ ، فعليه أن يرجع إلى مصدر علمي يرى من خلال علمه حكم الشرع ، فإذا لم يكن المرء عالماً ، ولم يرجع إلى علم عالم قبل الإقبال على العمل ، فإنه يتحرك بجهل ، وهذا من الشيطان . وإلى هذه المعاني يرشدنا قول ربنا الكريم : { **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** } .

ثم اسمع ما قاله إمام التابعين الحسن البصري رحمه الله تعالى : « **العامل على غير علم كالسالك على غير طريق ، والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح** ، فاطلبوا العلم طلباً لا تضروا بالعبادة - يقصد : العمل - واطلبوا العبادة طلباً لا تضروا بالعلم ، **فإن قوماً طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد ﷺ ! ، ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا** » [مفتاح دار السعادة: ٨٣/١].

أما إذا كنت تقصد بالشيخ " بيعة شيخ الطريقة الصوفية " فهذا الفهم غير سليم ، لأن المعاني التي يحملها بفعل قرون الجهل والتخلف - تلغي العقول وتنأى عن العلم الرباني .

وسأل سائل : ما قولكم دام فضلكم في قول القائل :

قلوبُ العارفين لها عيونٌ ترى ما لا يراه الناظرون ؟!

فكان الجواب : إذا كنت تقصد بالعارفين " **أهل الاختصاص بالشرع** " فهذا صحيح ، وقد بين لنا ربنا عز وجل ذلك بقوله : { **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** } . بل إننا نرى ذلك في المختصين في فنون الحياة المتنوعة . فالعارف بالنجارة يرى ما لا يراه إنسان غير نجار ، والعارف بالهندسة يرى ما لا يراه غير المختص بها ، وقل مثل هذا في كل أمر يتطلب اخصاصاً . يضاف إلى ذلك تعدد مستويات المعرفة ضمن دائرة المختصين . فكلما ازداد المرء معرفة وكان قادراً على ربطها بواقع الناس وحاجاتهم كان أكثر قدرة من غيره على استنباط الرأي الأقوى والتصرف الأسلم . يقول معاذ بن جبل رضي الله عنه : « **عليكم بالعلم فإن طلبه لله عبادة ، ومعرفته خشية ، والبحثَ عنه جهاد ، وتعليمه**

مجلة الرائد

العدد : ١٩٨ الموافق في محرم ١٤١٩ هجري ١٩٩٨/٥ ميلادي

عنوان المقال : سأل ؟ سائل	بقلم :أسرة التحرير

لمن لا يعلمه صدقة ، ومذاكرته تسبيح . به يُعرف اللهُ ويُعبد ، وبه يُمجّد الله ويُوحد ، يرفع الله بالعلم أقواماً يجعلهم للناس قادة وأئمة يهتدون بهم وينتهون إلى رأيهم » [مجموع الفتاوى:١٠/٣٩].

أما إذا أردت بالعارفين أن هناك ناساً يحصلون بالمجاهدة للنفس وذكر الله تعالى معرفة تكشف لهم أستار الغيب ، وتطلعهم على قلوب الناس ، فهذا المعنى مرفوض ، لأنه يحمل في طياته الدعوة إلى الخنوع واتباع أدعياء المعرفة ، فضلاً عن تصادمه مع النصوص القطعية التي تحصر علم الغيب بالخالق سبحانه وتعالى .

❋ ❋ ❋

وسأل سائل : ما سر تكراركم لمضمون قول الشاعر :

وكلٌّ من بغير علم يعملُ أعمالُه مردودةٌ لا تُقبلُ

فكان الجواب : يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : « **العلم إمام العمل وقائد له ، والعمل تابع له ومؤتم به ، فكل عمل لا يكون خلف العلم مقتدياً به ، فهو غير نافع لصاحبه بل مضرة عليه ، كما قال بعض السلف : من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح . والأعمال إنما تتفاوت في القبول والرد بحسب موافقتها للعلم ومخالفتها له ، فالعمل الموافق للعلم هو المقبول ، والمخالف له هو المردود ، فالعلم هو الميزان وهو المحك** » [مفتاح دار السعادة:١/٨٢].

وهذا الذي قاله ابن القيم متفق عليه بين عقلاء البشر ، ألا ترى أنهم ينكرون كل عمل لا يقوم على علم ، ولذلك يولون الاختصاص عناية فائقة ، ويحصلون من ذلك على نتائج باهرة ، وقد آن للمسلمين أن يدركوا ما قاله ابن القيم في [إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان:١/٨] : « **قال بعض السلف : ما من فعلة - وإن صغرت - إلا ينشر لها ديوانان : لم ؟ وكيف ؟ ؛ أي : لم فعلتَ ؟ ، وكيف فعلتَ ؟ :**

فالأول : سؤال عن علة الفعل وباعثه وداعيه : هل هو حظ عاجل من حظوظ العامل ، وغرض من أغراض الدنيا في محبة المدح من الناس أو خوف ذمهم ، أو استجلاب محبوب عاجل ، أو دفع مكروه آجل ؟ أم الباعث على الفعل القيامُ بحق العبودية ، وطلب التودد والتقرب إلى الرب سبحانه وتعالى ، وابتغاء الوسيلة إليه ؟...

مجلة الرائد

العدد : ١٩٨ الموافق في محرم ١٤١٩ هجري ١٩٩٨/٥ ميلادي

عنوان المقال : سأل ؟ سائل	بقلم :أسرة التحرير

والثاني : سؤال عن متابعة الرسول ﷺ في ذلك التعبد ، أي : هل كان ذلك العمل بما شرعته لك على لسان رسولي ؟ أم كان عملاً لم أشرعه ولم أرضه ؟

فالأول سؤال عن الإخلاص ، والثاني عن المتابعة ، فإن الله سبحانه لا يقبل عملاً إلا بهما »